

العنف كظاهرة فوق تاريخية: قراءة في الشكل والتموضع

Violence as a suprahistorical phenomenon: a reading of form and positioning

د. حفيظي ليليا²

Lilia.hafidi@univ-oeb.dz

ط.د. ليامين عكاشة¹

Akachat.lyamine@univ-oeb.dz

تاريخ الاستلام: 2024/06/30 تاريخ القبول: 2024/11/21 تاريخ النشر: 2024/12/20

Received:30/06/2024 Accepted: 21/11/2024 published: 20/12/2024

ملخص المقال:

إنّ العنف كمفهوم إجتماعي بحضوره التاريخي مقترن وجوده بوجود التجمّعات البشرية وبإختلاف التّكوينات الثقافيّة للفرد داخل المجتمع، تتلخّص إشكالية هذا المقال في عبارة كيف تفسّر السّوسيولوجيا العنف في حالته الوجودية بوصفه مجالا معرفيًا اهتم به كلاسيكيو السّوسيولوجيا وحدانيوها؟

يهدف هذا المقال الى محاولة فهم العنف عبر ربطه ببعض المفاهيم الأخرى مثل السلطة، الدّين والأيدولوجيا، ولتحقيق هذا البحث تمّ تقسيم المقال الى خمسة عناوين، وقد توصل الباحث في نهاية المقال الى نتيجة مفادها أنّ العنف يمثّل تلك الممارسات التي يستخدم فيها الفرد -تمثيلا لسلطة أو باسم انتماء ثقافي أو مكانة- فردا آخر أو جماعة في سبيل تحصيل منفعة بغضّ النّظر على الوسيلة المستخدمة. كلمات مفتاحية: العنف، العنف الإلهي، العنف الأسطوري، الصّراع الطّبقي، العنف الرّمزي.

Abstract:

Violence as a social concept, with its historical presence, was accompanied by the existence of human gatherings and the different cultural formations of the individual within society, the problem of this article is how sociology explains violence as a field of knowledge that classical and modern sociologists have been interested in?

This article aims to try to understand violence by linking it to some other concepts such as power, religion and ideology, and to achieve this goal the article was divided into five headings. At the end of the article, the researcher concluded that violence represents those practices in which an individual uses a representation of an authority or in the name of a cultural affiliation or the status of another individual or group in order to obtain a benefit regardless of the means used.

Keywords: Violence; Divine violence; Mythical violence; Class struggle; Symbolic violence .

(1) جامعة أم البواقي (الجزائر).

(2) جامعة أم البواقي (الجزائر).

مقدمة:

إنّ في سبيل حصر العنف في شكل معرفي معيّن سعت السوسيولوجيا بما يمثّلها من مفكرين الى البحث في هذا المفهوم سواء عبر تتبّع تاريخي له أو عبر بناء كتل معرفيّة ذات مستوى معيّن من الأيديولوجيا التي تتناسب بطريقة أو بأخرى مع السّياق الرّمكاني للمفكر العارض، ولعلّ المجتمع بوصفه الحقل المادّي والفكري الأوّل الذي يتمارس فيه الأفراد بالعنف ويتبادلون فيه الأدوار من جلاّدين الى ضحايا ومن معيّنين الى معتّقين يمارس هو الآخر استنادا الى بعض مؤسّساته عنفا يحمل بشكله الأيديولوجي أو المباشر إعادة ترتيب للحياة الاجتماعية بما يتناسب مع الانخراط في العالم الحديث؛ تاريخيًا لطالما ارتبط العنف كممارسة اجتماعية ذات طابع فردي أو جماعي بمفاهيم فرعية أخرى مثل السّلطة والدّين وهذا ما هو ملاحظ عند تفكيك السّرديات الكبرى مثل الماركسيّة أو من خلال قراءة التاريخ على اعتباره تتابع للأحداث وفق نمط ما فوقيّ ما وتبادل الأدوار في إطار الضديّة والتناقض، ولا تقتصر الممارسات العنيفة ذات الطّابع السّلطوي على تمديد الحيز الرّمكاني لممارسة السّلطة عبر إقصاء الآخر الغريب ولكن تتعدّى حتّى الى فكرة الحفاظ على السّلطة في المجتمع المحليّ ذاته مع نفس الأفراد ونفس الجماعات ذات التشابه الإثني والأيديولوجي، والأمر سيّان فيما يتعلّق بالممارسات ذات الخلفية الثيولوجية فباعترار الدّين من زاوية ما يمثّل مجموعة من الأفكار والتصورات التي تنظّم الحياة الاجتماعية ككل بالنسبة لجماعة ما فهو بالتالي يحتوي على ما يبرّر بطريقة أو بأخرى كل الممارسات العنيفة التي تدخل في إطار تنظيم علاقة الذات مع الذات الأخرى المغاير وأمثلة هذا تملأ التاريخ، وكلّ هذا يمثّل نوعا من التّداول إمّا على حكم المجتمع المحليّ أو على حكم المجتمع العالمي.

لقد بات من الضّروري لفهم أشكال العنف وضعها ضمن سياقها التاريخي أوّلا ثمّ تحليلها بما يتناسب مع الواقع الاجتماعي والفكري ثانياً وبنبذة بريئة غير نبذة الاشتراكي المفرط في اشتراكيته يبدو بشكل شبه قطعي بأنّ العنف في شكله العامّ قد شهد مرارا وتكرارا تطوّرا في مساره وهذا نتيجة لكثير من العوامل على رأسها التّغيّر الرّسمالي في مفاصل المجتمع خاصّة المجتمع الحديث، أمّا فيما يخصّ المجتمع القديم الذي شهد انتشار شكل العنف المباشر والمادّي بصفة طاغية والذي تختصره ممارسات من قبيل القتل، التعذيب، التّفي وغيره وهذا القول لا يعني إنتفاء تطوّر أشكال العنف الأخرى مع شكل العنف الدّاتي ولكنّ فقط على سبيل التّأكيد لأنّه من أكثر الأشكال تطوّرا مع الرّسمالية والتي تقتضي كلّها على سبيل فهم العنف تحليل التّفاعل المعقّد بين أنماطه الثلاثة (سلافوي جيّك، 2008، صفحة 19)، استنادا الى ما سبق يبنّي هذا المقال على التّساؤل التالي: كيف تمّ تحليل وأشكلة مفهوم وظاهرة العنف سوسيو-فيزيقيّا؟ واستنادا الى هذا التّساؤل تتلخّص أهداف هذا المقال بشكل أساسي في تفكيك مفهوم العنف سوسيوفيزيقيّا، عرض لجانب من كلاسيكا السوسيولوجيا التي حلّلت هاته الظاهرة وأيضا تحديد مفهوم للعنف بما يتناسب مع ما تمّ توظيفه من طروحات نظرية وتصوّرية وهذ بالاعتماد على منهج الوصف، ولتحقيق هاته الأهداف تمّ تقسيم المقال الى محورين أساسيين مع بعض العناوين الفرعية عن كلّ محور منها محوران أساسيان وثلاث عناوين فرعية تبدأ من تتبّع مفهوم العنف تاريخيًا وكان هذا مجسّدا في العنوان الرئيسيّة "شكل العنف الأوّل من يمتلك المجتمع؟ ومرورا بالحديث عن أحد تجلّيات العنف وهو العنف السّياسي وهو ما كان مجسّدا في العنوان الفرعية "السّلطة والبنديّة: العنف ذو الوجهان"، إضافة الى هذا فقد تمّ تحليل مفهوم العنف نظريّا من خلال العنوان الفرعية "ماركس وأيديولوجيا العنف: وأيضا من خلال الدّين والشرّعة المقدّسة للعنف، وانتهاء بالحديث عن تجلّيه الرّمزي وكان هذا مضمّنا في العنوان "الأبنية الاجتماعية المضمرة وإنتاج العنف الرّمزي".

شكل العنف الأول من يمتلك المجتمع؟

في الأزمنة الفارطة كان العنف مهيمنا على كل أشكال الحياة الاجتماعية وفي كل مكان على اختلاف الحمل الثقافي الذي يتكوّن فيه الفرد والذي يفرد بنوع من التمايز عن البقية أو يفرد مجتمعا ما عن باقي المجتمعات، ترتبط ممارسة العنف التي كانت مزدوجة السمة بين الظاهر والباطن وبين الدنيوي والأخروي ومعنى هذا أنّ الممارسات التي كانت جزءا من الحياة الاجتماعية والتي تدخل تحت مسمى العنف كانت مرئية للعيان تتعلق بالفرد والفرد الآخر أو بالأنا والآخر القريب أو البعيد وعليه فإن الأنا بسبب اندماجها الاجتماعي المفرط أو عدم اندماجها الاجتماعي بتاتا قد تمارس عنفا ضدّ نفسها حينما يتعلق الأمر بتبنيها لمفهوم التضحية وخاصة في المجتمعات القديمة والتي تعني في الغالب إنهاء وجودها أو إيذاء الجسد بأي شكل من الأشكال المادية سواء بالحرق أو بالطعن أو بغير ذلك هذا طبعا دون الخوض في باقي التفاصيل، وما يثبت هذا الطرح هو أنّه عند قراءة التاريخ وفق منطلق نقدي يبحث في ما تمّ اصطلاحه أو التعارف عليه على أنّه من العاديّ أو المألوف لدى الجموع هو تراكم الممارسات العنيفة في الساحات العمومية والتي تحقّق غاية العلانية بالنسبة للعنف وهنا يعنى الحديث بالدرجة الأولى على الممارسات العنيفة باسم السياسة من أجل بسط السيطرة وتوسعة النفوذ أو تحذير للحكم وهذا يأخذ في الغالب هذا النوع سلوكيات من شكل معاقبة المتمردين والخونة أو المحتالين أو الغرباء المحتلين من قبل السلطة العليا في ذلك المجتمع (بيونغ شول، 2021، صفحة 14) وأيضا يأخذ شكلا يقوم على الممارسات التي ترتبط بجيازة أكبر قدر من المادة وهو ما يجسده علاقات القهر بين الطبقات الاجتماعية هاته العلاقات التي تأخذ شكل المستغلّ والمستغلّ الممارس للقوة والممارس عليه، وفي شكلها الثالث تتجسّد الممارسات العنيفة باسم الدين والتي من أمثلتها عقاب تهمة الهرطقة في العصور الوسطى أو حتّى ما يسمّى إقامة حدود الله فيما يخصّ تعاليم الدين الإسلامي والتي من شكاها الرّجم بالحجارة والجلد أو قطع اليد وغيرها كثير.

إنّ مادّة التحليل المعرفيّة التي تتضمنها الإجابة على التساؤل من يمتلك المجتمع؟ والتي تمثّل الأساس المعرفي لهاته العنونة تتضمن مبدئيا تحليل الممارسات التي تحمل معنى العنف ضمن ثلاثة خطابات معرفيّة تتعلق بالسلطة والأيدولوجيا والدين وفيما يلي تفصيل لذلك:

1.2 السلطة والبندقية: العنف ذو الوجهان:

إنّ العنف باعتباره وجودا معرفيًا وتاريخيًا واصطلاحا مفاهيميًا يؤسّس بشكل دائم حضوره على مختلف أشكال الحياة الاجتماعية من جهة في نوع من التمارس البين ذاتي وبين الآخر (بمدلوله المزدوج الفرد أو الجماعة) على نطاق أوسع ومن جهة أخرى في شكل من الممارسة العلاقاتية التبادلية بينه وبين مفهوم السلطة، واستنادا لماهيته وحضوره يمكن بطريقة ما بناء بعض من الفهم بخصوصه عن طريق اقتطاع ما يمثّل سيرا خطيًا لتطوّر المجتمع ومؤسّساته في مرحلة ما من سيرورتها الاعتيادية أو عن طريق عمليّة حفر معرفي بلغة فوكو تمتدّ تاريخيًا الى حيث نظّر المفكّرون عن التجمّعات البشريّة الأولى إن صحّ التعبير وهو ما يختصره مفهوم الشكل الأول للمجتمع وللنف، وبخصوص الرّصد التاريخي لوجود الممارسات العنيفة على الصّعيد الفردي أو الجماعي وبالضبط تلك الممارسات التي ترتبط بمفهوم السلطة هناك مالا يعدّ ولا يحصى من الأمثلة على هذا التواجد المفاهيمي وهو ما يمكن إعادة قراءته في الخطاب والسرد المجتمعي المهيم في كلّ فترة تاريخيّة وهو ما يسم كلّ الإنتاجات المعرفية في هذا الجانب بسمة النسبيّة والارتباط الزمكاني.

بنوع من المطلقيّة في سبيل الحديث عن تاريخ العنف باختصار نورد ما أورده جون دوكر (دوكر، 2018، صفحة 20) في حديثه عن رفائيل لمكن والذي يمثل محصّلة معرفيّة عن حضور العنف ومزامنته للمجتمعات البشريّة منذ الأزل وارتباطه الوثيق بالإمبريالية وما بعد الإمبريالية فيقول: "إنّ العنف ملازم للنشاط البشريّ، فتاريخ البشريّة هو تاريخ العنف ممثّلا في الحرب والإبادة والاستعمار والغزو وإقامة الإمبراطوريات بأوامر من الله أو من الآلهة في الديانات التعدّدية أو التوحيدية والجمع العقيم بين الإمبراطوريّة والديمقراطية والثورة والتّعذيب والقسوة والمجزرة والتمثيل بالجثث"، وفكرة الرّبط بين المفهومين السابقين أيّ بين البندقيّة والعنف مضمّن في كمعطى تاريخي يحسّده عمليّة حفظ البقاء للأنواع البشريّة وبدون تفصيل أكثر لما يسمّى بالداروينيّة الاجتماعية تجسّد الحروب بكلّ غاياتها السّياسية والاقتصادية وتجسّد الإبادات الجماعيّة باسم الدّين والثّقافة والعرق وكلّ ما يرتبط بوهم التّرنسندناتالية الثّقافيّة والدّينيّة إثباتا للحضور الممارساتي للعنف منذ الأزل.

يظهر بأنّ من يعرفون بأنهم مفكّرو العقد الاجتماعي قد ربطوا عن قصد أو عن غير قصد بين السّلطة والعنف وهؤلاء من سيتمّ التركيز على طروحاتهم في هذا الجزء اللاحق من العنونة وهذا لا يعني أنّه منتهى البحث وانحصاره إفراهم بهذا التّكتيل المعرفي ولكن على سبيل الموائمة بين ممارسة السّلطة وتمارس العنف باسمها أو العكس، وبالعودة الى طروحات هوبز ولوك وهيوم وروسو والمتعلّقة بتشكّل الدّولة في خضمّ مجتمع غارق في شتّى أنواع العنف خصوصا إذا تعلّق الأمر بالتّسليم المطلق بأنّ الدّولة كتنظيم تمثّل مرحلة تطوريّة يستدلّ على كونها مرحلة نضوج أين أصبح فيها السلوك العدواني أو العنفي تحت سيطرة أكبر من قبل العقل أو الإرادة الإنسانيّة وقد توافرت هاته الطّروحات بكثرة في فكري هوبز وهيوم، أمّا بالنّسبة الى روسو فالأمر يختلف تماما خاصّة عندما يتعلّق الأمر بإدراج مفهوم المملكيّة والتعاطي معه على أنّه أصل كلّ الشّور.

إنّ الإنسان الهوبزي أو الهيوموي الأوّل هو إنسان شرّير محكوم بالنّزوع الأناني والمفرط نحو السّيطة وبسط التّفوذ والتملّك وهو معزول وحامل لأهواء مدمّرة لا يتقن الحوار ميّال لكلّ ما هو غير عقلائي باستعارة المعنى من الطّروحات الهوبزية والهيومية ومعنى أدقّ يعتقد المفكّر بأنّ بناء الإنسان لحياته الاجتماعية وبقائه على قيد الحياة يتمثّل مرحلة من عمليّة التعايش التي يصير فيها أكثر عقلائيّة من ذي قبل خصوصا وأنّه يتخلّص شيئا فشيئا من الهمجيّة والبربريّة الأولى بما فيها نزوعه نحو العنف واستخدامه المفرط في تعزيز رغبة التملّك أو الهيمنة أو الأنانيّة التي يحوزها عن طريق بناء الدّولة التي تمثّل شكلا من الحضور الواعي والعقلائي لفردية الفرد تنظّمها الضّروة الاجتماعية والتّشاركيّة له، ويعتقد هوبز على وجه التّحديد بأنّ الإنسان في معتقد حرب الجميع ضدّ الجميع محكوم أيضا بالخوف من انهيار النّظام الاجتماعي والذي من أسبابه الميولات المفرطة نحو ممارسة العنف (فالخ، 2018، صفحة 29).

لقد ارتبط بشكل مباشر إسقاط عبارة شكل العنف الأوّل على الإنتاجات المعرفيّة الهوبزية بمفهوم الإستحواذ أو الإفراط في التملّك وعليه فقد كان العنف الأوّل مرتبطا بالشّكل الأوّل للمجتمع المحكوم أفرادا بالنّزوع نحو الإستحواذ وهو ما يعني بأنّ الأفراد في هذا النوع من المجتمع هم في حالة حرب دائمة وشاملة ضدّ بعضهم من أجل الثّراء بنوعيه المادّي والرمزي وهو ما يسير بالمجتمع نحو الإفناء إذا لم يكن هناك كيان فوقيّ وخارج عن هاته التّتابعات غير المجدّية للتّداوت لكي ينظّم المجتمع، ويسهب هوبز في تفصيل هذا الطّرح في كتابه اللّويثان (فالخ، 2018، صفحة 31 و45) حيث يصف ويشبّه ذلك الكيان الذي يحفظ الفرد من فرديّته المفرطة ومن جموحه نحو الاستحواذ بـ "الوحش الذي يمسك بالقوّة القاهرة والكابحة للعنف"، وفي نفس السّياق المعرفي المتعلّق وبنفس التّشابه في الطّرح يقسّم لوك الوضع البشري الى ثنائيّة الحالة الطّبيعيّة أو الفطريّة أو الحالة المدنيّة أو الحضاريّة ليتكون الحالة الأولى تعبيرا عن الهمجيّة الإنسانيّة أين يكون النّزوع نحو العنف هو الوسيلة التي يدافع بها الى حدّ ما عن كلّ ما يملك الفرد ناهيك

عن أنّها الوسيلة التي يستحوذ بها أو يوسّع من خلالها ممتلكاته، وفي سياق آخر يعتمد روسو على نفس الأساس المعرفي الخاصّ بهوبز ولوك لكنّه يقلب فيه المعنى لتصير ثنائية همجية-حضارة من منطلق الحكم القيمي الذي يجعل من الهمجية المرحلة الأكثر استحبابا لدى روسو لأنّها المرحلة التي تقلّ فيها عند الفرد الرغبة والنزوع نحو التملك والاستحواذ بحيث يكون في حالة من الاكتفاء والإشباع على عكس مرحلة الحضارة أو المدنية التي تملأ المجتمع بالتناقضات ابتداء باللامساواة ووصولاً إلى العنف والاستعباد التي تنتج ابتداء من مفهوم الملكية الخاصة والذي يمارسه ملاك الأراضي على حساب المحرومين منها وهو ما يمثّل نقطة تشابه بينه وبين الطرح الماركسي لاحقا ولكن مع اختلاف بسيط في من يملك؟ وماذا يملك؟

في هاته العنونة الجزئية وبخصوص الطروحات السابقة التي تخصّ هيوم ولوك على وجه التحديد نطرح التساؤل التالي: من خلال السيرورة التطورية للمجتمعات البشرية من الحالة الهمجية إلى الحالة الحضارية والتي تمثّل مرحلة يقنن فيها الفرد جماعيا بشكل عقلائي كلّ نزوعه المفرط نحو الاستحواذ والتملك والسيطرة وكلّ ما يرتبط بهما من سلوكيات ذات طابع عنيف بطريقة ما يلاحظ بأنّ الحضور المفاهيمي للعنف يتوارى بشكل شبه كليّ مقارنة بحضوره عند الحديث عن الحالة البربرية الأولى للوضع البشري وهنا نتساءل أين تموضع مفهوم العنف في هذا السياق المعرفي؟ ولعلّ الإجابة على هذا التساؤل تطرح فتح ثقب أعمق في مفهوم العنف والبحث في لامادياته ورمزيته ومأسسته وهو ما تحتويه العنونة الرئيسية الثالثة وهي الأبنية الاجتماعية المضمرة وإنتاج العنف الرمزي.

1.3 ماركس وأيديولوجيا العنف:

لقد كان العنف أحد مفاهيم التحليل التي اعتمد عليها سواء ماركس نفسه أو الماركسيين بعده وهذا في قراءة الواقع ضمن إطار مفاهيمي ووفق أطر ثقافية عقائدية محدّدة، والعنف كمعنى خارج عن الرتبة الكلاسيكية له في التراث المعرفي القديم يرتبط بصريح المعنى بفعل الثورة ليشكّل ضمن النسق المعرفي الماركسي الحلقة الأكثر أهمية في محاولة فهم التحوّل الأفقي في المجتمع المتعلّق بالدرجة الأولى بالموضوعة الاجتماعية للجماعات والأفراد ضمن طبقات محدّدة فوقيا بما يملّيه التكوين الفكري لها أو ماديا بما يحدّده تمدّد فعل التملك لدى كلّ تفرد جماعي كان هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاولة فهم تحوّل المجتمع في شكله العمودي أيّ في نظامه العام وفي علاقة النخبة الحاكمة بشكليها السياسي والاقتصادي مع باقي الأفراد في المجتمع.

ولعلّ قراءة العنف ضمن نطاق ربطه بمفهوم الثورة يشكّل بعضا من الطروحات الماركسية المثيرة للاهتمام خصوصا وأنّ ماركس نفسه يؤسّس كثيرا من قراءاته للمجتمع على مفهوم التحوّل وليس الركود ناهيك عن فكرة كون أنّ التبدّل في شكل المجتمع نفسه وفي شكل كلّ الطبقات الاجتماعية وتموضع كلّ الجماعات والأفراد في السلم الاجتماعي مقرون بفعل التحوّل ورغم كون أنّ العنف يمثّل جزءا مفاهيميا مرتبطا بطريقة ما بالمفهوم التوتاليراتي وهو الثورة إلا أنّ ماركس يعطيه أهمية ثانوية رغم دوره في التاريخ الإنساني خاصة فيما يتعلّق بتفسير زوال المجتمعات القديمة لأنّه ببساطة يعتقد بأنّ المجتمع القديم يرتبط زواله ليس بالعنف لكنّه مرتبط بوجود تناقضات داخل تلك المجتمعات ولعلّ أهم دور يجسّده العنف اجتماعيا هو كونه مرافق أوّل لوجود المجتمع أوّل مرّة وبهذا المعنى لا يكون العنف هو علّة وجود المجتمع الجديد رغم كونه الشكّل العمليّ الأوّل الذي يسبق فعل الظهور (أرندت، 2015، صفحة 12) وهو بهذا يلغي فكرة كون أنّ الحروب محدّ ذاتها لا تلغي المجتمعات بأكملها رغم كون أنّ الكثير من الجماعات البشرية الكبيرة والصغيرة على السواء واجهت خطر الإفناء عبر ممارسات عنيفة تدخل ضمن مسمّى الحرب على عكس ما هو مشاع معرفيا وتاريخيا.

في الطرح الماركسي الكلاسيكي والأكثر شهرة الذي يتعلّق بالتقسيم الطبقي للمجتمع يضمنّ العنف بشقيّه المباشر والرّمزي من قبل الطبقة البرجوازية التي تهيمن على وسائل الإنتاج وتملكها في حين تحرم باقي الطبقات منها الأمر الذي يشكّل نوعا من البروليتاريا المستعبدة والتي تقوم مقام وسائل الإنتاج ولكن بفارق كونها تحمل نوعا من الوعي الذي تسعى نفس الطبقة المهيمنة على بناءه بشكل مشوّه لا يجعله يبدو أن يكون مجرّد زيف عن الحياة الاجتماعية وعن العالم وهو ما يعبر عنه بأنّه يشكّل نوعا من الأيديولوجيا الترنسندنتالية التي تجسّد إعادة بناء ما هو فوقيّ لطبقات المجتمع الدّنيا بحيث تفعل كلّ تكوين فكريّ يعزّز إعادة إنتاج نفس النظام الاجتماعي ونفس التّموقع الطبقي والمادّي والفكري وأيضا نفس التوزيع الاجتماعي للأدوار والمكانات ونفس الهيراركية الاجتماعية بين الطبقات وهذا الطرح يتجسّد انطلاقا من ممارسات تتعلّق بالدرجة الأولى بكلّ ما يمثّل عنفا بنوعيه الرّمزي أو المباشر وإكراهها ثقافيا أو فكريا أو أيديولوجيا لباقي الطبقات وتكريسا لمنطق الهيمنة الاجتماعية لصالح الطبقة الرأسمالية وكلّ طبقة تعيد إنتاج وضعها الاجتماعي انطلاقا من مساهمتها في ذلك عن طريق الرّضوخ لهذا النوع من الممارسات والتي تدخل في عمليّة تمارس العبوديّة وهو عكس ما كان يؤسّس له ماركس خصوصا عندما نادى بضرورة الثّورة مقابل الخضوع والاستعباد، والحديث هنا وإن كان مرتبطا بنظرة فكرية متساهلة ومنفتحة أكثر على كلّ ما هو إيجابي إلا أن هذا لا يلغي تغلغل بعض السّواد الى كلّ الفكرة أو الى الحياة الاشتراكية والحديث هنا يعنى بالدرجة الأولى الى قراءة مفهوم "دكتاتورية البروليتاريا" ببعض من الانفتاح على الطّرحين الإيجابي والسلبي فحتى في الاشتراكية التي تلغى فيها التراتبيّات الطبقيّة أو على الأقلّ يلغى فيها ذلك التّقسيم الذي يؤسّس لاستغلال طبقة لطبقة أخرى هناك نوع من التّقسيم ولكنّه لا يرتبط بطريقة مباشرة بالطبقة بقدر ارتباطه بالمكانة في حدّ ذاتها وهو ما كان مجسّدا في مسمّى الثّقافات والمجالس العنّالية والأمناء العامّين وغيرهم، وذكر هؤلاء أريد به تبيان الفروق في المكانة التي يؤسّسها الانتماء أو التّمثيل الوظيفي للفرد في المؤسّسة.

1.4 الدّين والشرّعة المقدّسة للعنف:

عندما يخاطب العقل الدّين ككلّ مركّب من كثير من الأفكار والتصورات والممارسات عن عالم الآن وعن عالم ما بعد فإنّه بنوع من الاستحالة والعجز يقف مدهوشا وغير مبرّر لكثير من التصوّرات ولكنّه فقط يقف أمامها معتقدا الى أن يفتح الغد إدراكه ببعض من نتائج التفكير التي يجيد هو استخدامها، ودون التّفصيل في الطّروحات التي تفسّر نشأة الدّين كحقل من الحقول المعرفية الاجتماعية ككلّ ارتبطت الممارسات المجتمعيّة للإنسان القديم بحضور شبه كلّيّ للعنف وهيمنته على مفاصل الحياة الاجتماعية ككلّ وهذا باسم الدّين ومن أشكال الممارسات الشّائعة للعنف باسم الدّين هو القربان الذي يرتبط بالطّوطم أو بالآلهة المتعدّدة وغالبا ما يرتبط بجلب البركة أو للتقرّب من الآلهة وهو ما يقتضي التّضحية سواء بكائن بشري أو ببعض الحيوانات وكل هذا ينزوي تحت مسمّى الشّعائر أو الطّقوس الدينيّة، ويمثّل القربان من أوائل الممارسات العنفيّة التي لها مدلول ديني والتي لها أيضا حضور في شتى الثّقافات الإنسانية.

في القرون الوسطى خاصّة في الحيز المكاني الأوروبي شهدت مالا يعدّ ولا يحصى من الممارسات العنفيّة التي تدخل تحت مسمّى العنف الدّاتي أو حتى الموضوعي والأيديولوجي وكلّ هذا تجسّده الممارسات الكنسيّة سواء مع أفراد المجتمع المحلي ولعلّ أشهر الأمثلة التي ربّما لم تذكر من قبل على أنّها شكل من أشكال العنف الرّمزي هو فكرة محاكم التفتيش التي أقيمت ضدّ المفكرين والعلماء الذين يعزّدون خارج السّرب الكنسي والتي أقيمت أيضا ضدّ الأفراد الذين يمثّلون اختلافا دينيا عن المسيحية وهم المسلمون في الأندلس بالذّات ناهيك عن فكرة صكوك الغفران والتي كانت تدفع عن إكراه من طرف أفراد المجتمع مادامت ترتبط بضرورة دينيّة

تلخصها مفهوم الغفران من الذنوب والخطايا وبالتالي الدّخول الى الجّنة وهو ما جعل الإكليروس في حالة مادّية متخمة لا بل جعلهم ينافسون في الحكم والسلّطة الأرضيّة الملوك والأباطرة وهو ما وُطدّ لحساسية مفرطة بين السلّطة الأرضية المجسّدة في الملك أو الإمبراطور مع مفوّضي السلّطة السّماوية وهم ممثّلو الكنيسة (راينهارت و آخرون، 2015)، ناهيك عن معاداة السّامية والتي تمثّل معاقبة اليهود على إهدار دم المسيح وهو ما تلخّصه عبارة -معاداة السّامية- التي بدورها استعملها اليهود لأجيال في جذب استعطاف المجتمع العالمي معهم، إضافة الى هذا تلك الحروب القائمة بين مسلمي الأندلس وبين مسيحيي أوروبا حول الأندلس وما فعلته محاكم التفتيش خاصة مع المسلمين من قتل وحرّق ونفس هاته المحاكم لم يسلم منها حتّى المسيحي نفسه ويخصّ بالذكر هنا عمليّات الإعدام والحرّق التي مارسها الكاثوليك بصفتهم يمثّلون مذهبا فرعيا ضمن المسيحية بصفة عامّة ضدّ طائفة دينيّة فرعيّة أخرى تمثّل المذهب البروتستانتي خاصّة في بداياته والذي يمثّل فرعاً هو الآخر من المسيحية ونتيجة لموجة العنف اللاّمتناهية هاته باسم الدّين (على الأقلّ فيما يخصّ العنف الممارس ضدّ المسيحيين فيما بينهم من قبيل حرب الفلاحين) خرج بعض الرّهبان والمفكرين من أمثال لوثر الذي نادى بشدّة في وقت من ما من حياته بضرورة تدخّل السلّطة واستخدامها للعنف مجسّدا في فعل القتل ضدّ مجموعة من الفلاحين المتمرّدين الذين كانوا قرابة المئة ألف فلاح بسبب نهبهم بعض الكنائس والأديرة تعبيرا منهم على رفضهم لسياسة الأمراء، وفي هذا الصّدّد يؤكّد المؤرّخ جون بوسي بأنّ الدّين كمفهوم قبل عام 1700م لم يكن منفصلا عن المجتمع، وفي سياق مشابه بين وليام كافانو في كتابه أسطورة العنف الدّيني بأنّ الحروب لم تكن دينيّة تماما ولا سياسيّة تماما ولكنها بطريقة ما أسهمت في خلق فكرة عن الدّين مفادها أنّه يمثّل نشاط شخصي وفردّي منفصل عن الشّؤون الدّنيوية" وهو ما أسّس لنوع من التّقّد المعرفي للدّين وتجريده من قدسيّته وبداية تحقيق فصله الكامل عن الدّولة (أرمسترونغ، 2014، الصفحات 363-389).

في كتابه "نقد العنف" يؤسّس عالم الاجتماع والتر بن يامين نقدا معرفيّة لمفهوم العنف ويصنّفه ويظهر وظائفه الأساسيّة ويربط بين العنف كممارسة بين القانون الوضعي الذي يمارس استنادا الى شرعيّة ما ذلك العنف، واستنادا لنوع من الموقعة التّسبوية فإنّ القانون الوضعي يطلق حكما بأنّ يستهجن استخدام العنف نفسه من قبل جهات اجتماعية أخرى حفاظا على موقعه وخوفا من أن يسمح استخدامه من طرف جهات اجتماعية أخرى لإنتاج قانون وضعي آخر، وي طرح بن يامين نوعا آخر من العنف يسمّيه بالعنف الإلهي أو السّماوي ليكون الضّدّ والمقابل للعنف الأسطوري (حبيب، 2023)، إنّ ما يسمّيه فالتر بالعنف الأسطوري يعتبر وسيلة لصنع القانون أو التّظام الاجتماعي والحقوق للأفراد ويمكن رصد هذا النوع من العنف في معظم أشكال الحياة الاجتماعية السّابقة وهو ما يشر الى كلّ التّدوينات التّاريخية التي تذكر الحروب بالأخصّ سواء أكانت بإسم الدّين أو بإسم تثبيت نظام الحكم والسلّطة على المجتمع أو التي تهدف الى توسعته أكثر وتحسين المكانة، وهو على عكس العنف السّماوي أو الإلهي الذي لا يرتبط بأيّ وسيلة وبالتالي فهو لا يتولّى أيّ خدمة وعليه لا يكون فيه القتل تعبيرا عن حالة مرضيّة ولا عن جريمة أو قربانا مقدّسا (سلافوي جيجك، 2008، الصفحات 194-196).

الأبنية الاجتماعية المضمرة وإنتاج العنف الرّمزي

هاته العنونة قد تبدو لوهلة أنّها نوع من التّطابق بين العنونة الفارطة والتي تربط بين العنف والسلّطة خاصّة فيما يتعلّق بالحديث عن اقتطاع معرفي لتطوّر المجتمعات في ظلّ وجود العنف بحضوره المادّي واللامادّي، ولعلّ الفرق بينه وبين هاته العنونة يتموضع أساسا

في كون الحالية أكثر تفصيلا وتحديدا وانفتاحا على تحليلات العنف في الاجتماعي والإبستمولوجي مقارنة بالعنونة الأولى، وفي هاته العنونة يتم رد أشكال العنف التي تظهر الى البنى الضمنية في المجتمع وبالتالي يصبح مفهوم الهيمنة معطى معنيتي حلولي في فعل العنف بأشكاله الظاهرة (مادية أو الرمزية) وهو ما يقود الى الحديث عن مفهوم "العنف البنيوي" بلغة يوهان غالتونغ (بيونغ شول، 2021، الصفحات 89-90) الذي يعتقد بأن العنف موجود ويقترن وجوده بحالة عدم الإدراك لدى البشر والتي تكون نتيجة تأثر إدراكاتهم العقلية والجسدية الفعلية أقل من توقعاتهم المحتملة وهذا ضمن منحى عنف النظام المسيطر عبر التسلسلات الهرمية والأوامر من جهة وضمن حضور مفهوم حرمان البنية للطبقة المضطهدة من فرص التنظيم ومن فرص التطور في حد ذاته من جهة ثانية.

إن السلطة تاريخيا في طرح ميشال فوكو هي نوعان سلطة سيادة قاتلة وسلطة تأديبية، يرتبط النوع الأول بذلك النوع من السلطة التي تسبق القرن السابع عشر التي تقوم على نوع من الإقصاء الجسدي لكل معارض أو متمرّد على عكس السلطة التأديبية التي تنظم وتحسن وتراقب القوى الموجودة في المجتمع تحتها وتسيطر عليها وهي سلطة لا تعتمد على مبدأ القتل ولكنها تعتمد كما قال بيونغ شول (بيونغ شول، 2021، صفحة 95) على مبدأ "إعطاء الحياة والاستثمار فيها عبر نظام من الأوامر والمحظورات"، وكلا النوعان من السلطة يمثل حالة من الحالات التطورية للمجتمع الأوروبي بصفة خاصة وهو ما يطرح نوعا من الحذر في التعامل مع هاته المفاهيم نظرا للاختلاف الثقافي بين المجتمعات المنتجة للمفاهيم وبين المجتمعات الحاضرة لها، وعلى كل إن العنف هو تقنية من تقنيات الحكم بمفهومه الأوسع الذي يعني فيه حكم المجتمع ككل وليس حكم مجموعة بشرية صغيرة أو حكم بعض المؤسسات باسم مؤسسة أو توجه ثقافي أو اقتصادي واحد، والعنف في شكله الرمزي أو المضمر يمكن من الحكم بكفاءة أكثر من الحكم بعنف مباشر وبما أننا قد سلّمنا باختلاف أشكال العنف بين المباشر والرمزي كان من باب الأولوية التعرّيج على فكر بورديو المتعلّق بصلك مفهوم العنف الرمزي على الأقل كممارسة وليس كاصطلاح لغوي، لا ينحصر مفهوم العنف الرمزي فقط في تلك السلطة التي تفرض نوعا من الدلالة ولكن تلك التي السلطة التي تفرض نوعا من الدلالة مقرونا بفعل تقنيتي علاقات القوة والإكراه في ذلك المجتمع الأمر الذي من شأنه أن يبيّن بطريقة لا واعية شبكة من الدلالات الثقافية التي تحكم وتحافظ وتبني على نوع من العلاقات والتصورات التي تتركس لهيمنة النظام الذي جاءت كنتاج لوجوده (كينه و غانية، 2022، الصفحات 194-195).

يشير سلافوي بأنه الى كون أن الموقف الليبرالي متحيّز حتى في التعاطي مع العنف بأنواعه الثلاث المادي المباشر من قبيل القتل والإرهاب والموضوعي والعنف الأيديولوجي بأشكاله المختلفة مثل التمييز على أساس النوع الاجتماعي وغيره وهذا النوع من العنف بكلّ هاته الأشكال والتصورات يطلق عليه سلافوي (سلافوي جيجك، 2008، صفحة 19) مفهوم العنف الذاتي، وفي سياق آخر يتّهم الليبرالية الجديدة بأنها تحوي كمّا من الأيديولوجيا على اعتبار أنّها تركز على العنف الذاتي المفعّل بعناصر اجتماعية.

لا يعمل العنف الرمزي فقط على تكريس فعل الاستغلال الطبقي والفردى واستغلال البنى الاجتماعية لكل ما هو إنساني فقط ولكنّه انعكاس لوعي السلطة والنظام الحاكم وهو يرسّخ لاستقرار علاقات السلطة القائمة في المجتمع وجعلها تبدو في شكلها البسيط الذي لا يوحي بأيّ طريقة كانت الى التشكيك فيها ونقضها وهو ما يمثل درجة عالية من الخطورة على الطبقات التي تعتبر محرومة ومستغلّة ومعنّقة في المجتمع وفي سياق آخر كان بيار بورديو كثيرا ما يستعمل مفهوم العنف تقريبا كمرادف للسلطة التي تركز على فعل الإخضاع المباشر والظاهر للجسد الاجتماعي وهو لا يفصل بينهما بشكل جوهري وقاطع الأمر الذي حسب ضده لاحقا من قبل مفكرين لاحقين عليه، في موضع آخر يعلّق بيونغ تشول على هاته الجزئية فاصلا بينه مفهومه للعنف البنيوي

عن مفهوم العنف الرمزي بقوله بأنّ كلا النوعين يرتبط بتمارس السلطة وهما يتطلبان بنية ما للحكم وعلاقة طبقية هيراركية قائمة على العداء والإكراه والاستغلال وهو ما يوفّره حلول أكثر للرأسمالية والإمبريالية في المجتمعات الحديثة الأمر الذي من شأنه أن يكرس لانقسام المجتمع الى نوعين من التضاد: الحاكم والمحكوم المالك والمحروم القوي والضعيف الممارس والممارس عليه المعترف به والمغرب أو المهتمش، وسيرورة العنف هنا تنتقل بشكل تاريخي ومكثّر بين تسخير الآخر لما يخدم رغبات الأنا وطموحاتها ونفس هاته السيرورة تنقل العنف من صيغته البنيوية الرمزية الى عنف سلبى (بيونغ شول، 2021، الصفحات 90-91).

عودة الى التساؤل الذي طرح في أول العنونة والمتعلّق بـ من يمتلك المجتمع؟ ولربّما أحد الأفكار الأكثر ملائمة للإجابة عليه هو ما طرحه الفيلسوف والمفكر إدغار موران حينما قال بأنّ المجتمعات تقوم بإخضاع الأفراد عن طريق التكوينات الفكرية التي تعطيها تارة طابع الأسطورة والخرافة وتارة تعطيها طابع الفكرة بمفهوم مجرد وفي علاقة تبادلية بوجه آخر نفس الأفراد الخاضعين لتوجيه الأسطورة أو الخرافة أو الفكرة يخضعون المجتمع نفسه (لزرقي و الهلاي، 2009، صفحة 44)، في النهاية تشكّل الأسطورة والخرافة وكلّ الأفكار التي يبنها المجتمع ويتم من خلالها بناء الوعي الجمعي أو الفردي لكل فرد فيه بناء فوقيّ يعزّز بقاءه عن طريق حتّ الأفراد والجموع على نوع من السلوكات والتفاعلات مختلفة الطابع ويدخل ضمن هذا الاصطلاح كلّ السلوكات التي تمثّل انتهاكا ماديا أو رمزيا لحضور الآخر سواء الجسدي أو الفكريّ أو حتّى الرمزي من خلال الخطابات الاجتماعية والقراءات الفكرية ضمن الأنساق الثقافية العامة للمجتمع أو للجماعة وهو ما يطرح مشكلة وجود الأنا واستقلاليّتها من عدمها مع الآخر، وأما فيما يخصّ التساؤل والمتعلّق بموضوعة العنف ضمن السياق التطوّري العام للمجتمع من الهمجية الى المدنية فتعلّق الإجابة عليه أولا بتحقيق شرطين أساسيين، الاول يتعلّق بضرورة التسليم المطلق بان العنف كشكل من أشكال التمارس الفردي والجماعي داخل المجتمع أمر وجودي يستمرّ بالوجود باستمرار الوجود الإنساني ككلّ رغم تعدّد أشكاله المادية أو الرمزية والشرط الثاني يخرج من طور الفعل الى الفاعل وبلغة أدقّ لا يصبح التركيز على وجود أو عدم وجود فعل العنف بقدر ما يكون التركيز على من يقوم بالفعل وفي حالة التسليم بأنّ الفرد من الهمجية الى المدنية كوّن عبر عقد اجتماعي جماعي سلطة فوقية تنظّم له حياته الاجتماعية تنقل سمة الفردانية على الفعل العنيف الى سمة الجماعية من جهة ومن جهة أخرى تغيّر الحكم الأخلاقي بالشرّ والخير على الفعل نفسه وتفصيل هذا أنّ في الحالة الأولى التي ينتقل فيها العنف من طابعه الفردي الى الجماعي ليس بصفة الشمولية وإلا فإنّ الواقع يحتوي على العديد من الحالات التي ينسب فيها فعل العنف الى سلوكات منفردة يحمل على فعلها فرد أو مجموعة إثنية-إجتماعية معينة، أمّا في الحالة الثانية فيوصف فعل العنف على أنّه مستحبّ لا بل مقدّس وخير في حالة ما إذا كانت الجهة التي تمارس العنف والتي تبرّزه سلطة فوقية تروّج له على أنّه معطى سلبى يخرّب النظام الاجتماعي القائم الى الفوضى واللااستقرار وهو ما يأتّر بشكل مباشر على حياة الأفراد فيه ومن جهة أخرى تبرّر لنفسها استخدامه لا بل تحثّ على ذلك من منطلق حفظ الوجود العام للمجتمع وكلّ هذا ضدّ الأفراد والجماعات تتعالى على التقسيمات الطبّقية للأفراد وتحكم النظام الاجتماعي العام من منطلق المكانة والسلطة، ويدخل ضمن هذا الطرح الدولة كوجه سياسي والمؤسسة الدينية كوجه روحي للمجتمع والمؤسسة الاقتصادية كوجه مادي وكلّ هاته الوجوه تخصّ المجتمع الحاضر ككلّ.

حي قدور بومدوس، المنظر الجميل، قسنطينة - الجزائر

References :

- ‘Abd aljbbār Fāliḥ. (2018). Al-istilāb: hwbz, lūk, Rūssū, hyghl, fwyrbākh, Mārks (al-iṣḍār 1). Byrwt-lbnān-: Dār al-Fārābī.
- ‘Azīz Lazraq, wa-Muḥammad al-Hilālī. (2009). Al-‘nf-nuṣūṣ mkhtārt- (al-iṣḍār 1). Al-Maghrib: Dār Tūbqāl llnnshr.
- Fwlr rāynhārt, wa-ākharūn. (2015). Albābwāt Asyād ‘alā alssmā’ wa-al-arḍ (al-iṣḍār 1). (Tarjamat: Shākir Muṭṭlaq) Sūrīyah : Dār al-Ḥiwār lil-Nashr wālttwzy‘.
- Hān bywngh Shūl. (2021). Ṭūbūlūjiyā al-‘unf. (Tarjamat: Badr alddyn Muṣṭafā,) Dār ma‘nā lil-Nashr wālttwzy‘.
- **Hnnh** arndt. (2015). Fī al-‘unf (al-iṣḍār 2). (Tarjamat: Ibrāhīm al-‘Arīs) byrwt-lbnān-: Dār alssāqy.
- **Jūn** dwkr. (2018). Uṣūl al-‘unf : alddyn alttārykh, al-ibādah (al-iṣḍār 01). (Tarjamat: Muzhir ‘lī) byrwt-lbnān-: Jāmi‘at al-Kūfah.
- **Kārīn** armstrwngh. (2014). Ḥuqūl alddm: alddyn wa-tārīkh al-‘unf (al-iṣḍār 1). (Tarjamat: Usāmah Ghāwījī,) Bayrūt : al-Shabakah al-‘Arabīyah li-Abḥāth wa-al-Nashr.
- **Slāfwy** Jījik. (2008). Al-‘unf : t’mmlāt fī wjwhh alstth. (Tarjamat: Fāḍil jtkr) Qaṭar: al-Markaz al-‘Arabī lil-Abḥāth wa-dirāsāt alssyāsāt.

Al-Maqālāt:

- Mīlūd kynh, wālbshyr ghāniyah. (Dīsimbir, 2022). Al-‘unf alrrmzy-drāsh Naẓarīyat fī mafhūmuḥu w’ālyāth-. Majallat alshshāml lil-‘Ulūm alttrbwyyh wa-al-Ijtimā‘īyah, 5 (2), al-Ṣafahāt 191-199.

Al-Mawāqī‘ al-iliktrūnīyah:

- Sārḥ Ḥabīb. (5 Dīsimbir, 2023). Mā ahmyyḥ al-‘unf alssyāsy min wijhat naẓar fāltr ibn yāmyyn? tamma alāstrdād min ḍiffāt thālithah:
<https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/secondbank/2023/12/5/%D9%85%D8%A7%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D9%81%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%85%D9%86%D9%88%D8%AC%D9%87%D8%A9%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%81%D8%A7%D9%84%D8%A>.